العتاد العسكري للجيش الحمادي

الأستاذ الدكتور/ عبد الحق معزوز

معهد الآثار/ جامعة الجزائر 2

الملخص:

تشكل الأسلحة الحربية على اختلاف أنواعها (الهجومية والدفاعية)الأداة الأساسية- لمن يملكها – لضمان واستقرار الكيانات والتجمعات البشرية، كما أنها تعد أيضا الأداة الفعالة لردع كيد الأعداء، وصد هجمات الغزاة ، فضلا عن كونها عامل رئيس في الكر وغزو أراضي جديدة .

لقد تفطن ملوك الحماديين لهذا الأمر منذ البدايات الأولى لتأسيس دولتهم بقيادة حماد بن بلكين، وجهزوا أنفسهم بما كان متاحا من هذه الأسلحة في عصرهم لردع أعدائهم، والحفاظ على كيان دولتهم، خاصة وأنهم كانوا محاصرين بين كماشتي بني عمومتهم الزيريين من جهة الشرق والمرابطين من جهة الغرب، فضلا عن الصراع التقليدي القديم بينهم وبين قبيلة زناتة ثم عرب نو هلال فيما بعد من جهة، والصراع البحري مع النورمان والمسيحيين عامة من جهة ثانية .

انطلاقا من هذا الطرح، سنحاول في هذه المداخلة إلقاء الضوء على مختلف الأسلحة الحربية التي كانت بحوزة الدولة الحماية مع إبراز وظيفتها وأهميتها في مجال تخصصها واستعمالاتها.

1- عدة الجيش:

تتمثل عُدّةٌ أي جيش في ما يملكه من وسائل النقل (حمير بغال جمال عربات وغيرها من الوسائل التي سخرت لهذا الغرض) ووسائل التخييم مثل الخيام وما يشابه ذلك سوء للنوم أو للحماية، والأسلحة الدفاعية والهجومية البرية منها والبحرية.

1- وسائل النقل:

قبل التطرق بالتفصيل إلى العتاد الحربي الحمادي، يستحسن بنا أن نشير ولو باقتضاب إلى وسائل النقل التي كانت مستعملة في ذلك العصر، والتي كان الحماديون يستعملونها لنقل الأسلحة والمؤن الغذائية والخيام والأموال لصرف رواتب الجند وما إلى ذلك من العتاد الذي كان يحتاج إليه الجيش. ذلك أن الخروج للحرب كان يستغرق أحيانا شهورا طويلة قد تقترب أحيانا من السنة، يقضي الجند معظم أوقاته في السير والتنقل خاصة في الذهاب والأياب فقط[1]. ولذلك كان لابد من إيجاد وسائل النقل التي تتيح لهم حمل العتاد الثقيل طيلة مدة الخروج. وتعتبر البغال والدواب من بين وسائل النقل الأساسية والرئيسية المناسبة لتلك الأغراض لقدرة هذين الحيوانين على تجشم مشاق السفر وتحمل عبء الأثقال والأحمال وذلك بفضل قوتها وبنيتها الفيزيولوجية التي منحها الله أياها لهذا الغرض كما جاء في محكم تنزيله: (**وجعلنا الدواب والبغال لتركبوها(الآية)** وقد تعرض المؤرخون لدى وصفهم لمعركة سبيبة بين الناصر وتميم للخسائر التي لحقت بجيش الناصر. وكان من ضمن ما اغتنمه الزيريون عددا كبيرا من البغال. وإلى جانب البغال استعمل الحماديون الخيول بكثرة بحيث كان بإمكانهم تجهيز أكثر من 30 ألف فارس بالخيول[2]. وتذكر بعض الدراسات الأخرى ان الجيش النظامي بالقلعة كان يتألف من اثني عشر (12)

1- عن تحرك الجيش ومدى سرعته نشير إلى أن الجيش الموحدي الذي فتح إفريقية قضى حوالي خمسة أشهر لقطع المسافة بين مدينة سلا بالمغرب وتونس، ما يعادل مسيرة سبعين يوما بالنسبة إلى فارس سريع،للمزيد:- أنظر روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، دار المغرب الإسلامي تاريخ إفريقية في العهد الزيري من القرن 10إلى القرن12م ، ط1، 1992ص.143.

2 - الهادي روجي إدريس ، 140/2.

ألف فارس دائم[1] . بالإضافة إلى البغال والخيول نجد أيضا الدواب من الحمير وهي وإن لم تذكرها المصادر التاريخية فإن استعمالها أكيد وغير مشكوك فيه أبدا، خاصة لوفرتها في البلاد وللاعتماد الكبير عليها من طرف سكان الشمال الإفريقي عموما والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، وقد ذكر النويري وابن الأثير[4] أن من بين ما خسره الناصر في معركة سبيبة اللألوية والطبول والخيام والدواب،وقد جاءت صيغة الداب على العموم وليس على الخصوص مما يفهم أنها متنوعة (بغال وخيول وحمير) . وكان العرب قد أرسلوا هذه الغنائم لتميم فردها وقال: "يقبح بي أن آخذ سلب ابن عمي"[5] نجد أيضا إلى جانب ذلك الجمال (سفينة الصحراء) التي لا ريب أيضا في استعمالها من طرف الجيش الحمادي سواء في التنقل أو في حمل المؤن والأحمال المتنوعة وخاصة في الناحية الجنوبية من البلاد. لم نجد في كتب المصادر التاريخية استعمال هذا الحيوان في هذا العصر، غير أننا وجدنا على قطعة خزفية من قلعة بني حماد صورة أو رسما لجمل يحمل على ظهره أثقالا يقوده صاحبه الذي كان يحمل بإحدى يديه ما يشبه رمحا ويضع على رأسه شيئا يشبه القلنسوة. مما يدل على استعمال هذا الحيوان في العصر الحمادي وربما استعمل أيضا للركوب أثناء تنقل الجيش الحمادي أو في المعارك، وفي حمل عتادهم العسكري والمئونة سواء عند الحماديين أو عند الزيريين، أو غيرهم خاصة وأنها متوفرة بكثرة في بلاد المغرب العربي.

---

1 - أنظر تاريخ الجزائر لمبارك الهلالي الميلي.-مكتبة النهضة الجزائرية2،194/1963، وتاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي، دار الحياة بيروت 1965. 1/ 365.وانظر كذلك روجي إدريس نفس المرجع 2/.140

4 – شهاب الدين أحمد النويري ،نهاية اللرب،66/22، مخطوط بدار الكتب المصرية.- وانظر كذلك ابن الأثير ، الكامل في التاريخ..ندار صادر بيروت 10،،259/1967.

5 – النويري، نفسه،66/22.

2- الأسلحة:

على الرغم من جهلنا لوجود مخازن الأسلحة والعتاد الحربي بشكل عام في القلعة وفي بجاية إلا أننا نستطيع التكهن بوجودها تأسيا بأسلافهم الفاطميين كما كانت هناك إسطبلات للخيل ومخازن لتخزين المؤن والمواد الغذائية لاستخراجها في وقت الشدة سواء كانت مجاعة أو حصارا عسكريا.

أما الأسلحة الحمادية فلم تكن تختلف تماما عن أسلحة الجيوش المعاصرة لهم، وإنما كان يمتلك كل أنواع الأسلحة المتداولة بين أيدي جيوش الزيريين والمرابطين بشكل خاص. وهي لا تخرج عن تلك الأسلحة التقليدية التي كانت بحوزة الجيش الإسلامي على صفة العموم، وقد أشارت إلى معظمها المصادر التاريخية والأدبية، التي اعتادت تقسيمها إلى نوعين بحسب وظيفتها وهي:

1 1- الأسلحة الهجومية:

كانت الأسلحة الهجومية على وفرتها وتنوعها في متناول الجيش الحمادي. ولعل أهمها ذات الانتشار الواسع هي:

- **السيف:**- وهو أمير الأسلحة البيضاء وأنبلها، عرف منذ الأزمنة البعيدة في القدم، كما عرفه العرب في الجاهلية وبعد الإسلام، وكان من أهم أسلحة المسلمين. اشتهرت شتى المدن بصناعة السيوف في العالم الإسلامي أهمها اليمن ودمشق والقاهرة وطليطلة. وشاع في بداية الأمر السيف المستقيم ثم جاء السيف المقوس ذي النصل الواحد وكان السيف العربي يصنع من الحديد والصلب (الفولاذ).كما صنع للسيوف أغماد من الخشب المرصع أو المغطى بالجلد والتي كانت في الغالب تعلق[6]. بينما أثناء السير خارج أوقات الحرب

6 – د. عبد الرحمن زكي،- الجيش المصري في العصر الإسلامي، القاهرة 1970،ص.92.

فكانت تحمل على الأكتاف بالنسبة للمشاة وتربط إلى الأرجل بالنسبة للفرسان[7]

– **الرمح**.– يعتبر الرمح من الأسلحة الأساسية التي استخدمها الجيش الحمادي خاصة والجيش العربي عامة . وقد استعمله المشاة والفرسان على السواء . ولرأس الرمح، كما ذكر في المصادر، أشكال شتى فمنه المتشعب ومنه العريض ومنه الرفيع والمموج[8] كما اختلفت أطواله أيضا فمنه الرمح الطويل ومنه الرمح القصير. ويسمى حامل الرمح "الرماح". وقد أنشد الشاعر يوسف بن مبارك مادحا بني حماد: هنأكم النصر ونيل النجاح ـــ في يومكم هذا بسحر الرماح[9].

الحربة أو المزراق:– وهي الرمح الرقيق وهي من ضمن الأسلحة التي كانت بحوزة الجيش الحمادي والعربي ومنه أنواع شتى. ولعل القطعة الخزفية التي بحوزة متحف سطيف المؤرخة في القرن الخامس الهجري والتي رسم عليها محارب يحمل في إحدى يديه رمحا لدليل مادي على وجود هذا النوع من السلاح الهجومي وتداوله بصفة عادية بين الجند الحمادي.

– **الخنجر** :– يعتبر الخنجر من الأسلحة القديمة الاستعمال التي لا يمكن التشكيك في استعمالها من طرف الجيش الحمادي رغم عدم ذكرها في المصادر التاريخية والأدبية التي تناولت تاريخ الحماديين، و نجد الخنجر الذي كان يشد إلى الذراع الأيسر ويربط بالإصبع الصغير بواسطة خيط حتى لا يسقط. هذا

---

7 – Brunchfig (R) , La Berberie Orientale sous les Hafsides..,t.2, Paris 1947,p.83

8 – د. عبد الرحمن زكي ،المرجع نفسه، ص..88

9 – عماد الأصفهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر، (ت597هـــ)، (قسم خاص بشعراء المغرب) تحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروسي وآخرون ، تونس 1،1966/183.

السلاح الأبيض كان معروفا قبل الفترة الإسلامية في بلاد البربر ناحية الأوراس ثم عند الإباضيين بالجريد [10].

- القوس والسهم :- وهو من أقدم الأسلحة القتالية الهجومية أيضا ، عرفه المشرق الإسلامي منذ القدم وقد جاء ذكره في الأشعار العربية قبل الإسلام ومن بين الشعراء الذين اشتهروا به في الجاهلية الشاعر الشنفرة. اتخذه المسلمون كسلاح أساسي في جيوشهم الأمر الذي أدخل عليه بعض التحسينات مع مر العصور، ويتكون القوس عادة من البدن والوتر وكان يصنع من خيوط مفتولة أو من شراك جلد ومن خشب الزان أيضا، كما صنعه المسلمون في العصر الوسيط من القسى واصطنعوا أيضا لرمي السهام ضروبا من (المجانيق) توضع في الواحدة منها عدة سهام وترمى منها[11]. وربما استعمل الحماديون الكثير من السهام التي عرفها العرب في ذلك الوقت من بينها السهام التي يوضع فيها الريش والسهام ذات الأسنة الفولاذية كما جاء في ديوان ابن حمديس[12].

إذا جاء في جنح الدجا نحو غيله */* تصدى له في القوس مغتال

تطير مع الفلاذ والعود نحوه */* من الموت في الريش الخفائف ثقال

1 2- الأسلحة الدفاعية:

من الأسلحة الدفاعية التي يفترض أن أكثرها كان بحوزة الجيش الحمادي حتى وإن لم يتطرق إلى بعضها المؤرخون والإخباريون، رغم أنها كانت مستعملة في ذلك العصر من طرف الكثير من الجيوش العربية إن في بلاد

---

10 - Brunchfig (R) ,Ibid,p.84.

11 – د.عبد الرحمن زكي المرجع السابق،ص.90

12- **ابن حمديس** (الصقلي)، الديوان،

Al_hakawati.ne/tarabik/civilizations/diwanindex5a2.p339

المشرق كالدولة الفاطمية على سبيل المثال أوفي بلاد المغرب والأندلس كالزيريين والمرابطين ثم الموحدين فيما بعد، من بينها:

- **الترس**(تروس) أو الدرع اللمطي الذي يعرف عند العرب باسم **الدرق**، وكانت هده الدروع تصنع عادة من جلد الضباع. وكان الجيش الحمادي يتوفر على عدد كبير من هذا السلاح، وهو ما يؤكده ابن عذارى في كتابه البيان فقال يصف معركة الشلف: أن ناصر الدولة باديس غنم في معركة الشلف 406هـ/1016م ضد الجيش الحمادي عشرة (10)آلاف دورق[13]. والدوارق أو الدروع اللمطية مصنوعة من جلد الضباع وكانت توضع على الصدور والأكتاف وكذلك على الأيدي تستعمل لحماية المقاتل من ضربات السيوف والسهام وغيرها[14]. ويسمى صانع الدوارق بالدراق ،وقد كشفت لنا إحدى الكتابات القبرية مؤرخة في عام 392هـ/1002م عن اسم لصاحب الشاهد اسمه ابن الدراق[15]. وربما الدرقاوة التي هي فرقة صوفية جزائرية لها علاقة بالدرق أو الدرع. وسلم تميم إلى قبيلة رياح قبل معركة سبيبة ألف درع وألف درقة وألف مهند [16] عن الدروع الجلدية يخبرنا ابن الأثير أن العرب لما رأت عساكر صنهاجة وعبيد المعز بن باديس هالهم ذلك وعظم عليهم فقال لهم مؤنس بن

---

13 –ابن عذارى المراتكشي،مكتبة صادر، بيروت ، مطبعة المناهل1950، 363/1.- ابن الكثير، 255/9. وانظر كذلك برونشفيك المرجع السابق،ص 83.- عبد الحليم عويس ،دولة بني حماد،دار الشروق ،1980، ص66 .- حسن حسني عبد الوهاب،مجمل تاريخ الأدب التونسي..،ط.3،مكتبة المناربتونس،ص.123

14 –راجع برونشفيك،83. – و عبد الرحمن زكي،ص..92

15 – روجي إدريس ، المرجع السابق ،ص.144، الهامش20.

16 – شهاب الدين أحمد النويري ،المرجع السابق ،221/22..- روجي إدريس ،نفسه ص.144، الهامش .20

يحيى: ما هذا يوم فرار. فقالوا: أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكزاغندات[17]. ويقصد بها طبعا الدوارق. وهي تبطن بالحرير أو القطن لوقاية المحارب من الرماح والأسنة الطويلة و القنطاريات وهي الرماح الخشبية .كما كان أيضا للخيول دروع وتسمى تجافيف تستخدم لحماية الخيول من الأسلحة الهجومية.

- المنجنيق:- يخبرنا برونشفيك أن منطقة شرق البربر في العصر الوسيط لم تكن تجهل الآلات الموروثة عن الفترة القديمة عبر بيزنطة، التي كانت تستعمل لرمي أو قذف الحجارة الكبيرة على المهاجمين[18]، وكذلك تقذف على المدن المحاصرة بهدف إحداث ثغرات في الأسوار، وهي تستعمل للهجوم كما تستعمل أيضا للدفاع، وهي أنواع حسب الدكتور زكي منها ما استخدم في حصار الطائف[19] في عصر النبي صلى الله عليه وسلم .لذلك لا نستبعد قدوم هذا النوع من السلاح مع الفاتحين الأوائل إلى بلاد المغرب ولو في صورته الأولية قبل أن يعرف التحسين والتطوير في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين. وللمنجنيق أنواع، منها ما يقذف بها السهام وما يلقى بها الحجارة، وكذلك نوع آخر لرمي قدور النفط. وقد تطرق إلى الاستعمال المكثف لهذا السلاح **صاحب الفارسية، :ما أخبرنا صاحب الإتعاض** أن أبا يزيد استعمل هذا النوع من الأسلحة إلى جانب الدبابات في حصار مدينة سوسة سنة 334هـ/945-46م.كما جاء في أشعار ابن حمديس[20] في مدح علي بن يحيى إشارة إلى

17 – ابن الأثير (عزالدين)، المرجع السابق، 9/.268

18 – برونشفيك المرجع السابق 2/.85

19 – عبدالرحمن زكي، المرجع السابق ص.95.

20 – انظر ديوانابن حمديس رقم 291،البيت 30،ص..413

استعمال المنجنيق في حصار اللجم والمهدية وقفصة في عهد الموحدين. وكان المعز لدين الله الفاطمي قد استعملها كذلك إلى جانب الكبش[21].

- **العرادة** :- وهي آلة دفاعية وهجومية أصغر من المنجنيق تلقى بها الحجارة على مسافات أطول من المنجنيق، وقد ثبت استعمالها من طرف الحماديين في حصارهم لمدينة المهدية[22].

- الخوذة :- وهي سلاح دفاعي توضع فوق الرأس لحمايته من ضربات العدو بالدبابيس الخشبية أو الحديدية المهيأة لهذا الغرض. وإذا كان برونشفيك ينفي وجود مثل هذا السلاح لدى المسلمين. وهو حكم خاطئ لا يستند على أدلة، وقد ثبت وجود مثل هذا السلاح عند ابن حمديس الذي جاءت **في ديوانه** إشارة إلى مقاتلين يرتدون زرورا؛ ويقصد بها الخوذات المصنوعة من الحديد. فضلا عن ما جاء في بعض المصادر عن اغتنام النصارى في إحدى معاركهم مع المسلمين عام 480هـ/1087م رحالا برونزية أي خوذات من معدن البرونز. كما ذكر أيضا النويري أن في العهد الزيري كان أحد القواد الزناتيين يضع خوذة فوق رأسه، وكذلك فعل بلكين بن حماد[23]. وأما دروع العبيد فقد كانت تصنع أحيانا من الجلد. لقد جاءت هذه الأخبار لتفند تفنيدا قاطعا ما ذهب إليه برونشفيك، إضافة إلى الوثائق المادية المتمثلة في بعض التحف الأثرية التي تدعم ما ذهب إليه هؤلاء المؤرخين، وتتمثل في قطعة خشبية من العهد الفاطمي نقش عليها صورة لمحارب مسلم يقود جملا يحمل على ظهره أثقالا بينما يحمل هو بيده

---

21 – حسن إبراهيم وطاه شرف: المعز لدين الله الفاطمي ط 2/ مكتبة النهضة المصرية 1963، ص180.

22 – أنظر استوريا في 299، الهامش 92.

23 – النويري ، المرجع السابقن2/.107

رمحا ويضع فوق رأسه خوذة تشبه القلنسوة تغطي أذنيه[24]. وليس المهم هاهنا البحث في مادة صناعة هذه الخوذة، ولكن الأهم هو وجودها واستعمالها بين الجند العربي مشرقا ومغربا بما فيها الجيش الحمادي، الذي لا نشك أبدا في استعمالهم لهذا النوع من السلاح الدفاعي لحماية أنفسهم من ضربات السيوف والرمح وغير ذلك من الأخطار التي قد تصيبهم أثناء المعارك الحربية.

وبجانب هذه الأسلحة الدفاعية لا نستبعد أن يكون الجيش الحمادي قد استخدم أيضا إلى جانب الأسلحة السالفة الذكر، أنواعا أخرى مثل **الدبابة والكبش** كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وكلاهما سلاح دفاعي وهجومي في الوقت نفسه، بحيث يستخدم الأول للصعود من خلاله إلى الأسوار لينقبوها (يحدثوا فيها ثقوبا)، وهي تتحرك بالعجلات وتجر بالخيول أو بالجند. ويستخدم السلاح الثاني لدق الأسوار، وأصل سلاح الكبش دبابة له رأس في مقدمته مثل رأس الكبش[25]. كما تجدر الإشارة أيضا إلى وجود السلالم لتسلق الجدران ففي حصاره لمدينة فاس المغربية استعمل بلكين السلالم لتسلق جدران المدينة ، إضافة إلى ذلك ربما كانت لهم أيضا طريقة دفاعية أخرى تتمثل خاصة في وجود فتحات فوق أبواب المداخل الرئيسية للمدن لإلقاء الماء الساخن أو مادة الزيت في درجة الغليان على المهاجمين من الأعداء. ومع أن هذا السلاح أيضا كان مستعملا فلا نجد له ذكرا في كتب المخبرين، ولدينا في مدخل قصبة بجاية التي يرجع تاريخها إلى العصر الموحدي نموذجا لهذا النوع من الفتحات في المدخل الغربي التي كانت تستخدم لهذا الغرض.

---

24 – أنظر: -Golvin(L) Le Magrib central à l'époque des Zirides, pub. Gouvernement général de l'Algérie, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1957, p172.fig.4.

25 – عبدالفرحمن زكي، المرجع السابق،ص..95

- **النفـــط:-** لا يمكن التكهن باستعمال أو عدم استعمال سلاح النفط أو ما يعرف باسم " مسحوق النار الإغريقية" من طرف الحماديين ، رغم ظهور هذا النوع من السلاح في المشرق في نفس الفترة الزمنية عند الفاطميين، وكان في الجيش الفاطمي طائفة تسمى "النفاطين"[26]، كما استعمله أيضا المسيحيون في الفترة نفسها، ولو عرف هذا السلاح طريقه للاستعمال في ذلك الوقت لدى الحمديين لكانت قد أشارت إليه المصادر التاريخية، ومع ذلك لا ننف نفيا قاطعا استعماله ولو على نطاق ضيق جدا. على أن النفط حسب بعض المصادر التاريخية استعمل أول مرة في إفريقية عام 387هـ/997-998م. من طرف باديس الذي لعبت المراكب بين يديه ورمى النفاطون بالنفط[27]. على أن العصر الذي ازدهر فيه السلاح الناري كان في بلاد المغرب والأندلس وبدأ بصفة فعلية وقوية في العهد المريني. ويعتقد برونشفيك[26] أنها المرة الأولى التي يظهر فيها هذا النوع من السلاح بالمغرب العربي وذلك بداية من سنة 1274هـ. وأما ابن خلدون فيخبرنا أن المرينيين هم أول من استخدموا هذا السلاح عند حصارهم لمدينة سجلماسة مستعملين إلى جانب ذلك سلاح المجانيقات أو الراجمات[28]. ومع ذلك فلا نستبعد استعمال هذا النوع من السلاح الناري من طرف البحرية الحمادية على غرار بني عمومتهم الزيريين. وقد أشار الشاعر ابن حمديس[29] لهذ

---

26 - عبدالرحمن لزكي، نفسه ص95.- أنظر: كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لأبن دينار، تحقيق محمد شمال-المكتبة العتيقة1387هـ،ص.78. وانظر كذلك ديوان ابن مديس ،عدد314،البيت 28،ص.442.،وعدد 320البيت57،ص458

27 – برونشفيك ، المرجع السابق،ص 85.

28 - كتاب العبر لابن خلدون، 533./7

29 – **ابن حمديس**، المرجع السابق ،ط2، 1980.، ص146

السلاح أثناء وصفه لحربية حمادية وهي قطعة حربية بحرية تشبه الزورق يقول فيها: والحرب في حربيـــة نيرانهـــا ** تطأ المياه بشدة غلإبعاد

ترمي بنفط كيف يبقي لفحه ** والشم منه محرق الأكباد

و في أبيات أخرى يصف هذا السلاح الناري فيقول:

رأوا حربية ترمي بنفـــط ** لإخماد النفوس له استعاروا

كأن المهل في الأنبوب منه ** إلى شي الوجوه له ابتدار

وما للماء بالإطفاء حكم ** عليه لدى الوقود و لا اقتدار.

ويقول في ابيات أخرى:

وحربية في طالع السعد انشيت ** فنيرانها للحرب دائمة الوقد

إلى أن يقول: **وترمي بنفط ناره في دخانها **به الموت محمر يؤوب بمسود**

هذه الأبيات في مجملها تؤكد على استعمال سلاح النفط في عهد الحماديين

3 البحريـــــة:

لا تكتمل قوة وفعالية كل جيش بري لبلد ساحلي إلا إذا نمت وتطورت بجانبه قوة بحرية موازية لقوته البرية. وكان قائد الأسطول أو قائد البحر شخصية مهمة ولكن ليس بذات الأهمية التي كان يتمتع بها قائد الجيش البري[30].

إن الحديث عن الجيش الحمادي يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن القوة البحرية الحمادية التي امتلكت أسطولا حربيا في عرض البحر الأبيض المتوسط، لعب في بعض الأوقات دورا هاما في توجيه سياسة بلاد المغرب أو في صناعة أحداث البحر الأبيض المتوسط. وكان الأسطول الحمادي الذي تشكل مباشرة بعد

30 – برونشفيك، المرجع السابق ، ص.94

انتقال العاصمة إلى بجاية في منتصف القرن السادس الهجري، قد أصبح في وقت وجيز قوة ذات أهمية قصوى استطاعت تأمين سواحل المملكة وغزو سواحل الأعداء. مما ضمن للدولة الأمن والاستقرار، وساهم في الازدهار الحضاري والاقتصادي .

وحسب أرشيبالد فالجهود التي بذلتها الدولة الحمادية في سبيل تطوير أسطولها البحري لم تنجح في مرحلتها الأولى إلى بلوغ مستوى الأسطول الزيري والمسيحي ولا الأسطول المرابطي[31]. ورغم ذلك استطاعوا فيما بعد أن يكونوا لهم أسطولا استطاع أن يحمي شاطئهم الطويل ومدنهم الساحلية المتعددة[32]

وكانت المملكة تحوز على عدة مراسي ممتدة على طول سواحل المدن الحمادية أهمها: مرسى الخرز شرق عنابة، ومرسى بونة (عنابة)، ومرسى جيجل، وحزائر بني مزغنة، وتنس ،ووهران وغيرها.

وقد لعبت بجاية دورا هاما في تاريخ البحر الأبيض المتوسط لكونها دار إمارة زيادة على أن بها دار لصناعة السفن[33] ، إلى جانب مرسى الخرز التي كان بها هي الأخرى دار لهذه الصناعة. وقد اشتهر ميناء بونة بالجهاد البحري حيث كانت تنطلق منه السفن الحربية لغزو بلاد الروم[34]، كما تمت الإشارة إلى ذلك سابقا.

---

31 - أرشيبالد لويس، القوى البحرية في حوض البحر المتوسط،ت(رجمة أحمد محمد عيسى)،مكتبة النهضة المصرية 1960،ص.293-95.

32 – عويس (ع)، المرجع السابق ، ص.208

33 – البكري ن كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ،ترجمة دوسلان باريس 1965،ص55.- الإدريسي(ش)، صفة المغرب وأرض السودان و مصر ، الأندلسن مشتق من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر وترجمه دوزي ،ليدن 1866،ص.90

34 –عبد العزيز (سالم) ؛د. العبادي(أحمد مختار) ، تاريخ البحرية الإسلامية،في المغرب والأندلس،دار النهضة العربية بيروت لبنان 1969،ص.200.

على أن مرسى بجاية كان من أهم مراسي المملكة لصناعة السفن الحربية الحمادية وكذلك التجارية[35]. وكان الأسطول البحري الحمادي يتكون من عدة قطع بحرية يتميز بالتنوع ويمتاز معظمها بالسرعة والفعالية وحسن المناورة، وقليل منها فقط يتميز بالثقل وبطء في الحركة.

لقد ساهمت عدة عوامل في تنشيط وتفعيل هذه الصناعة وعجلت في تطويرها منها موقع المدينة الطبيعي حيث كان لها جون عميق يحميها، ويعبر منه بالمراكب إليها[36] ، ووفرة المواد الأولية التي تدخل في صناعة السفن؛ كالخشب الجيد الذي توفره الغابات الكثيفة التي تغطي المنطقة، ومادة الزفت البالغ الجودة، والقطران، والمعادن لصناعة المسامير[37]. ولا شك أن الأسطول الحمادي كان منظما مثل غيره من الأساطيل المعاصرة له مثل الأسطول الزيري والمرابطي، ورغم أننا لا نملك وثائق في هذا الشأن ، غير أننا لا نستبعد أن يكون قد تأثر بالنظام الزيري الذي أخذ بدوره عن الأسطول الفاطمي . وقد ثبت أن الأسطول كان يقوده قائد يشرف على كافة قواد الوحدات الأخرى كما هو الحال في حصار المهدية عام 429هـ بقيادة مطرف بن علي في عهد

---

35 - الحميري عبد المنعم،، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار،(ت.غحسان عباس) مِسسة ناصر للثقافة، ط2، 1980،ص80، -

الكعاك عثمان ، محاضرات في المراكز الثقافية في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر ، معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ،ط.1958263-264. - عبدالعزيز سالم و العبادي أحمد مختار ،نفسه،ص200.- النويري ، نالمرجع السابق 209/24

36 –العمري شهاب الدين، وصف إفريقيا والأندلس من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،نشر حسن حسني عبد الوهاب، تونس

1906،ص.6.

37 – الإدريسي المرجع السابق،ص.90.

الأمير الحمادي يحيى بن العزيز، وربما كان يطلق عليه أمير البحر، وربما المستوفي كما كان عليه الحال في عهد الفطميين[38].

وقد أفادتنا الكثير من المصادر التاريخية بعدة أسماء للقطع البحرية الحمادية التي كانت تعمل في أسطوله الحربي، فهذا الإدريسي يذكر القطع التي كانت تصنع في ميناء بجاية مثل:

- **الحرابي** : ومفردها حربة، تشبه إلى حد كبير الزوارق التجارية وقد ذكرها الشاعر ابن حمديس في ديوانه الشعري [39]. وقد كانت تتقدم الأسطول لاستكشاف العدو، و كانت تصنع في دار الصناعة ببجاية[40] .
- وهناك نوع آخر من الحرابي ومفردها حربية كما جاء في ديوانه شعر ابن حمديس ابن حمديس يستعمل في قذف سلاح النفط استعملها الحماديون في حصارهم على تونس يقول فيها :

رأوا حربية ترمي بنفـــط ** لإخماد النفوس له استعاروا

- **المراكب:** ومفردها مركب[41] وهي قطعة تجارية مخصصة للأغراض التجارية، وكانت تستعمل في أوقات الحرب لنقل الجند والمؤن والسلاح وغيره من العتاد و

38 –المقريزي ، الخطط المقريزية ، الممسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة النيل ،مصر،193/1

39 – سبق وأن تكلمنا عن هذا الصنف من القطع في معرض حديثنا عن النفطن راجع هذه المادة في بحثنا هذا. وعن هذه القطعة أنظر الإدريسي ، المصدر السابق، ص90.

40 – الإدريسي، نفسه ،ص90.- عويس(ع)، المرجع السابق، 208.

41 –الإدريسي، المصدر السابق ص.90-.91

الإمدادات والوسائل اللوجيستية بالمفهوم الحديث للمصطلح.وكانت تصنع المراكب التجارية في بجاية[42] و الحربية في مرسى الخرز

- -**السفن الحربية:** ومفردها سفينة وهي قطعة حربية أقل حجما من المركب وتستعمل في الغزو البحري والإغارة على العدو لخفتها وحسن مناورتها في البحر، ولها إمكانيات كبيرة للمناورة بحيث تستطيع الالتصاق بسفن العدو ومباغتته.

- **الطرائد:** ومفردها طراد أو طرادة وطريدة. شكلها شبيه بشكل البرميل وهي سفينة تستعمل كالمراكب لنقل الجيش وعتاده بخيولهم، كما تستخدم لحصار المدن. وقد خسر الجيش الحمادي طرادين أثناء محاصرته للمهدية سنة 522هـ/1128م[43]

-**الشواني:** جمع شيني وهي سفينة شراعية بحرية من القطع التي تعرف بالكبيرة. كانت تصنع في بجاية وبونة [44] وكانت تعتمد في حركاتها على أسلوب التجديف، لذلك كانت تستخدم في تحركها عددا كبيرا من المجاذيف وأحينا بالأشرعة وتتميز بسعة حمولتها، وكانت تخرج غازية من ميناء بونة[45] . وقد وصف الشاعر ابن حمديس الصقلي الشواني عندما مدح أبا يحي الحسن بن علي فقال:

---

42 – الحميري عبد المنعم،، المصدر السابق ،ص81.،

43 – أنظر Bourouiba Rchid,les Hammadides, ENAG1981, p.110.

العدوي (إ) ، الأساطيل العربية في البحر المتوسط،، مكتبة نهضة مصر، مصر 1965، ص154، هندي(إ)، الحياة العسكرية عند العرب..،في ألف عام،(500-1500م، دراسة تاريخية عسكرية...،مطبعة الجمهورية –دمشق1964، ص184

44 – العدوي (إ) المرجع السابق ، 153.- يبظر كذلك الخولي،(أ) ، الجندية والسلم، واقع ومثال، دار المعرفة –بيروت، 1960،ص21.

45 – البكري، المصدر السابق، ص.73

انشأت شواني طائرة** وبنيت على ماء مدنا
ببروج فقال تحسبها** في شم شواهقها قننا
ترمي ببروج إن ظهرت لعدو مخرقة بطنا
وبنفط أبيض تحسبه ماء وبه تذكى السكنا

وقال يصف فرار العلوج :

وقد جعلوا لهم من شرع الشواني ** مع الأرواح أجنحة وطاروا

تتميز هذه القطع الحربية بسعة حمولتها وتعدد وظائفها فكانت بها مخازن وصهاريج لتخزين المئونة والماء العذب يكفي لأيام. كما كانت تزود سطوحها بأبراج وقلاع لفرض الحصار على المراكب والمدن.

- **الشلندي**: أو الصلند وهو قارب حربي مسطح، تستعمل لحمل الفرسان بخيولهم وذخيرتهم، لها نفس المؤهلات الحربية والتعبوية التي بحوزة الشواني[46]. و كانت هذه القطع تصنع في مرسى بجاية ومرسى الخرز. وكانت تشكل أهم القطع الحربية البحرية في العصر الإسلامي بسبب كبرها وسعة حمولتها للمقاتلة للجهاد. وقد استعمله الافرنج لنقل البضائع[47].

- **الغرابين**: أو الأغربة ومفردها غراب، وهو أيضا قطعة حربية، استعملت في حصار المهدية عام 530هـ/ 1136-37م. ذكر ابن عذارى[48] أن الحماديين خسروا طرادين في هذا الحصار وأما ابن الأثير فقد أشار إلى أربعة غرابين[49]. وكان الحسن بن علي صاحب المهدية قد حُمِلَ على غراب إلى بجاية بعد

46 – الخولي (أ) المرجع السابق ، ص94.- العدوي (إ) ، المرجع السابق، ص.54

47 – سعاد ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار الكتاب العربيللطباعة والنشر1967، 353.

48 – ابن عذارى، المصدر السابق ، 312/1.- ابن خلدون (ع)، تاريخ العبر...، 331/6.،

49 - ابن الأثير، الكامل 32/11.

سقوطها في يد النورمان عام 543هـ/1148م، كان قد أسعفه به الأمير الحمادي يحيى بن العزيز[50] وسمي الغراب بهذا الاسم لأن مقدمة هذه القطعة الحربية كانت على شكل رأس طير الغراب[51] لذلك سميت كذلك نسبة إلى هذا الطير. وكان الحماديون يستعملون هذا الصنف من القطع لحصار المدن، وتحمل القطعة الواحدة حوالى أربعين محاربا ويستخدم في المركب الواحد حوالي مائة وثمانين مجدافا. ويذكر ابن الأثير أن الحسن بن علي استولى على غرابين من أسطول بجاية، إثر الحملة التي أرسلها يحيى بن العزيز عام 429ه بقيادة مطرف لحصار المهدية[52] والتي باءت بالفشل بعد تدخل النورمان لنجدة حليفهم الحسن صاحب المهدية.

وقد وصف الشاعر ابن أبي حجلة التلمساني[53] المتوفى سنة776هـ الغراب فقال:

غربانها سود وبيض قلوعها ** يصفر منهن العدو الأزرق

وجاء أيضا في وصف الغراب لابن الأبار الأندلسي[54] المتوفى سنة 652هـ:

ياحبذا من بنات الماء سابحة ** تطفو لما شب أهل النار تطفئه

تطيرها الريح غربانا بأجنحة ال ** حمائم البيض للإشراك تزرؤه

من كل أدهم لا يلغى به جرب ** فما لراكبه بالقار يهنؤه

يدعى غرابا وللفختاء سرعته ** وهو ابن ماء وللشلهين جؤجؤه.

---

50 – ابن عذارى نفسه ،314/1.- النويري ، المصدر السابق ،247/24-.250

51 – محمد ياسن الحموي، تاريخ الأسطول العربي، مطبعة الترقي بدمشق (د.ت)،ص..39

52 ابن الأثير ، المرجع السابق32/11.- ابن عذارى ، نفسه449/1-450. .

53 – سعاد ماهر ، المرجع السابق، 359.

54 – نفسه

- **الحراقة** : وجمعها الحراريق أو الحراقات ، وهي من القطع الحربية الخطيرة في الأساطيل البحرية لخصائصها المميزة المتمثلة في حملها لآلات حربية بعضها ذات خصوصيات متميزة عن الآلات التقليدية كالمجانيق وآلات قذف ورجم قارورات النفط. على أن هذا النوع من القطع لم يرد ذكره في المصادر التاريخية ضمن قطع الأسطول البحري الحمادي. ومع ذلك لا يستبعد امتلاك البحرية الحمادية مثل هذه البوارج الحربية نظرا لأهميتها الهجومية والاستراتيجية ضمن القطع البحرية أو ما يعرف باستراتيجية الدفاع والهجوم معا. ولعل ما يدعم هذا الرأي هو ما أشار إليه الشاعر ابن حمديس في قصيدة شعرية يصف فيها سلاح النفط مذكرا بكيفية استعماله، مما يؤكد امتلاك البحرية الحمادية أيضا لقطع حربية من الحراريق مخصصة لمثل هذه الأسلحة الفتاكة.وقد ذكرها باسم الحربية جمع حرابي . وقد شاع استعمالها الحربية في جميع أنحاء العالم الشرقي والغربي في العصور الوسطى،وهي من السفن الخفيفةوهي من السفن الخفيفة[55]

- وهناك سفن أخرى قد امتلكها الحماديون مثل الغيطاني والعجزي وربما أنواع أخرى إذ يذكر صاحب كتاب البيان[56] أن الزيريين استولوا على مركبي الغيطاني والعجزي الذين ارسلهما الفاطميون في القاهرة إلى يحيى سنة 536هـ بسبب صراع العلاقات السيئة التي كانت بينهما.

55 –سعاد ماهر ، المرجع السابق، ص.339

56 – ابن عذارى المراكشي ، المرجع نفس ،451/1.

قائمة بالمصادر والمراجع

- ابن خلدون عبدالرحمن ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...،ج. 6، القسم الأول 11، دار الكتاب البناني 1981.

- ابن عبدالله محمد بن أبي القاسم القيرواني المعروف بابن دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تحقيق محمد شمال-المكتبة العتيقة1387هـ.

- ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب، مكتبة صادر بيروت،مطبعة المناهل،ج 1، 1950.

- ابو عبدالله البكري (ت487ه) ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب- من كتاب المسالك والممالك، نشر دوسلان، ميزوناف باريس 1965.

- أرشيبالد لويس، القوى البحرية في حوض البحر المتوسط،ت(ترجمة أحمد محمد عيسى)،مكتبة النهضة المصرية 1960.

- الإدريسي الشريف(548هـ)،صفة المغرب وأرض السودان و مصر ، الأندلسن مشتق من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر وترجمه دوزي ،ليدن 1863.

- الحميري عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار،(ت.غحسان عباس) مِؤسسة ناصر للثقافة،ط2، 1980.

- الخولي أمين ، الجندية والسلم، واقع ومثال، دار المعرفة –بيروت، 1960.

- العدوي إبراهيم أحمد، الأساطيل العربية في البحر المتوسط،، دار نهضة مصر، مصر 1965،

- العمري شهاب الدين، وصف إفريقيا والأندلس من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نشر حسن حسني عبد الوهاب- تونس 1906.

- الكعاك عثمان ، محاضرات في المراكز الثقافية في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع – عشر ، معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ،ط.3، 1958.

- المقريزي ، الخطط المقريزية ، الممسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،ج1، مطبعة النيل ،مصر،1324.

- حسن إبراهيم وطاه شرف: المعز لدين الله الفاطمي ط 2، مكتبة النهضة المصرية1963

- حسن حسني عبد الوهاب،بجمل تاريخ الأدب التونسي من فجر الفتح العربي لإفريقية إلى العصر الحاضر، الطبعة 3، مكتبة المنار بتونس.

- روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، دار المغرب الإسلامي تاريخ إفريقية في العهد الزيري من القرن 10إلى القرن12م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ط1، 1992.

- سالم السيد عبد العزيز . أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس،دار النهضة العربية للطباعة- بيروت – لبنان 1969.

- سعاد ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار الكتاب العربيللطباعة والنشر. - سعاد ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار الكتاب العربيللطباعة والنشر.
- سعاد ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،1967.
- عبد الجبار ابن حمديس (الصقلي)، الديوان، (ت527ه)تحقيق د:احسان عباس –دار صادر – بيروت1960.
- عبد الرحمن الجيلالي تاريخ الجزائر العام ، دار الحياة بيروت، ج1، 1965.
- عبد الرحمن زكي، الجيش المصري في العصر الإسلامي، القاهرة 1970.
- عزالدين أبي الحسن المعروف (بابن الأثير)، (ت630هـ)- دار صادر - بيروت 1967.
- عماد الأصفهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر، (ت597هـ)، (قسم خاص بشعراء المغرب) تحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروسي وآخرون ، تونس ،ج1 1966.
- مبارك الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر –مكتبة النهضة الجزائرية ،ج 2،1963.
- محمد ياسن الحموي، تاريخ الأسطول العربي، مطبعة الترقي سوريا – دمشق.
- هندي إبراهيم ، الحياة العسكرية عند العرب..،في ألف عام،(500-1500م، دراسة تاريخية عسكرية،مطبعة الجمهورية ، دمشق1964

Bourouiba Rchid,,les Hammadides, ENAG1984
Brunchfig (R) , La Berberie Orientale sous les Hafsides..,t.2, Paris 1947.
-Golvin(L) Le Magrib central à l'époque des Zirides, pub. Gouvernement général de l'Algérie, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1957.
-Mercier Mauris, le feu grégeois,Paris,Geuthneret aubanel, 1952.
- Al_hakawati.ne/tarabik/civilizations/diwanindex5a2.

مجسم لمخطط قلعة بني حمد

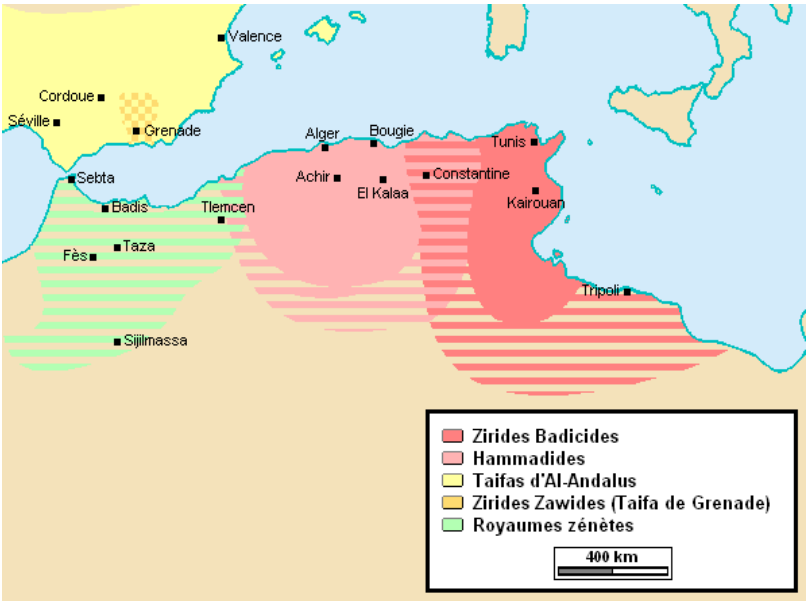

دويلات المغرب خلال العصور الوسطى

رماح

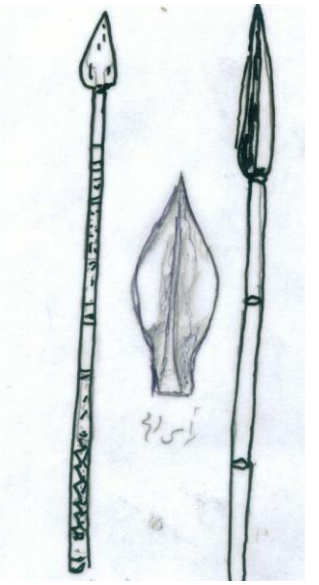

دباية لخرق الأسور

ترس ومقذوفة

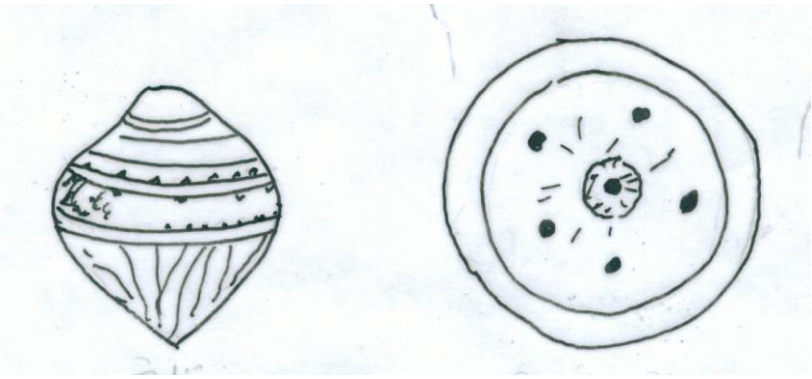

جنديان أحدهما يحمل رمحا ودرقة

صورة لمنجنيق قاذف الحجارة

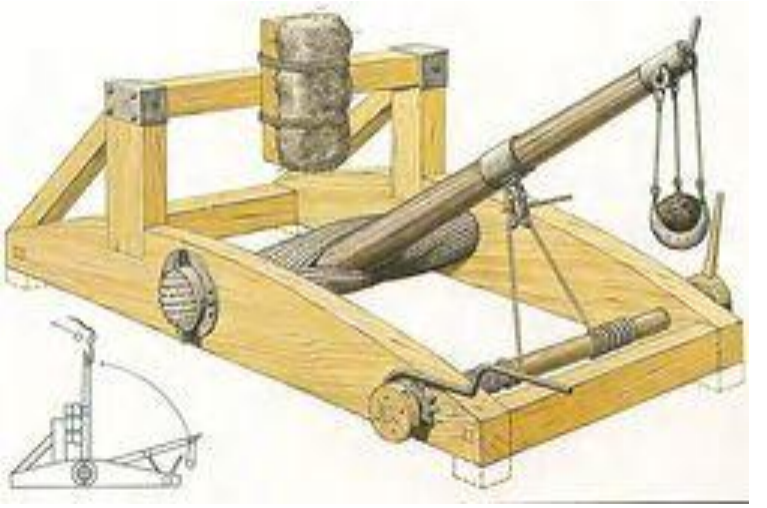

سفينة الشلندي

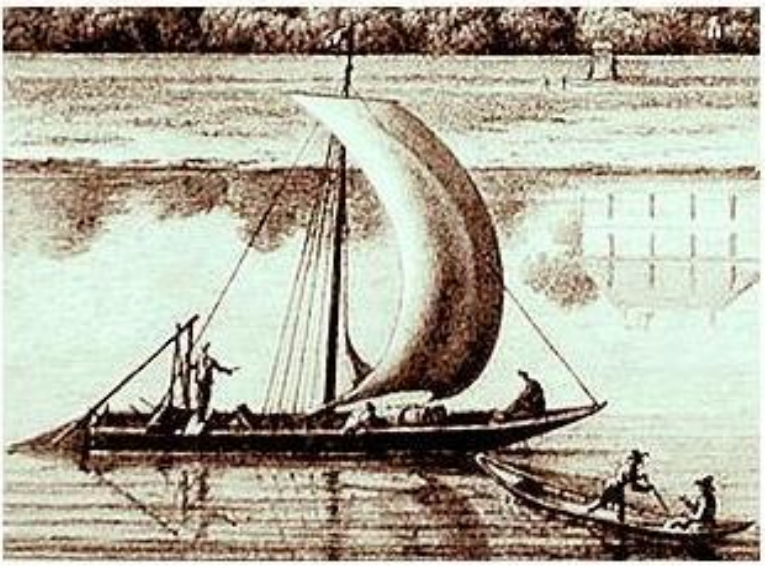

مقطع لشيني

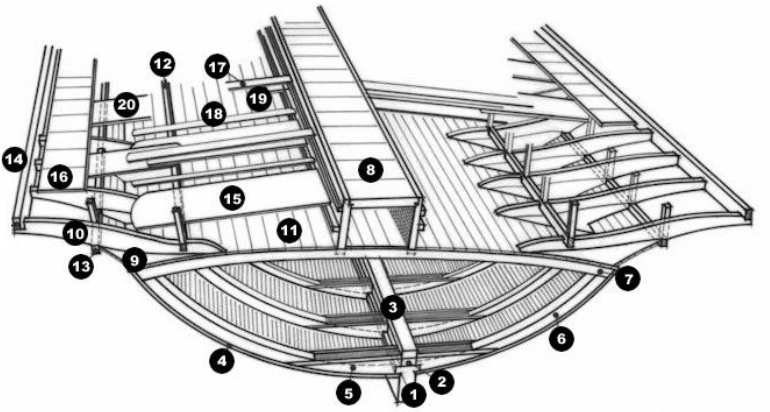

1 : QUILLE
2 : CONTRE QUILLE
3 : CARLINGUE
4 : BORDE
5 : VARANGUE
6 : MEMBRURE
7 : BAROT
8 : COURSIE
9 : BACCALAT
10 : COL DE LATTE
11 : COUVERTE
12 : CORDE
13 : TAPIERE
14 : APOSTIS
15 : BANQUETTE
16 : COURROIR
17 : BANC
18 : PEDAGNE
19 : CONTRE PEDAGNE
20 : AUBERESTIERE

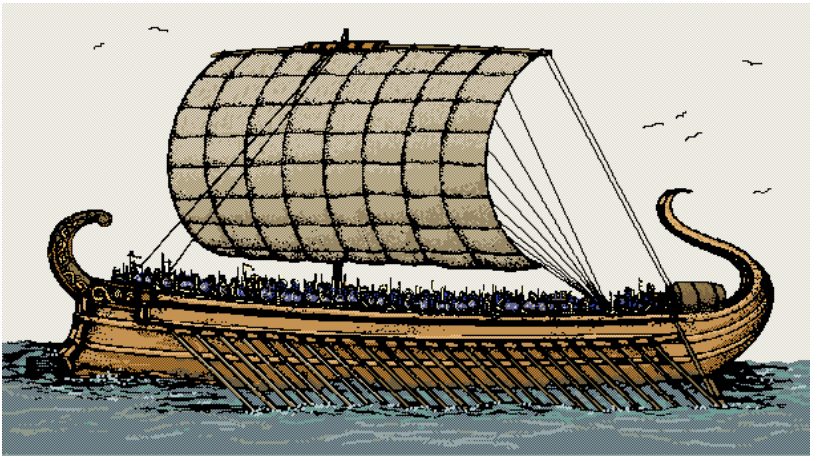

سفينة الشيني